

المنهج البنوي

د. ميداني بن عمر



سيرة البدء والامتداد

لم ينبثق المنهج البنيوي في الفكر النقدي الأوروبي فجأة وإنما كانت له إرهاصات عديدة تخمرت عبر النصف الأول من القرن الـ 20، في مجموعة من المدارس والاتجاهات . ولقد كانت أفكار العالم اللغوي **دوسوسير (1857-1913)** هي المنطلق لهذه التوجهات من خلال مبادئه التي أملاها على تلاميذه في ثنائيات متقابلة تصف سائر الأنظمة اللغوية الإنسانية عامة .
و أهمها(اللغة/الكلام)(التعاقب التاريخي/الآني).... ويمكن اعتبار الشكلانية الروسية أحد المدارس التي بلورت الفكر البنيوي بعد أفولها لتستعيد وهجها عبر البنيوية وبالتوازي مع مدرسة النقد الجديد من خلال هذه المقولات: (موت المؤلف-الأدبية – استحالة تمثل المعنى الخارجي).



ما البنية ؟

لم تتل أية ظاهرة معرفية من الاهتمام والدراسة قدر ما ناله مفهوم البنية في القرن الحالي، حيث أصبح هذا المفهوم يحتل مكان الصدارة في مختلف الدراسات الإنسانية الحديثة، سواء كانت هذه الدراسات نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو لغوية أو رياضية وغيرها...

ويرى عالم النفس السويسري "جان بياجيه" أن البنية (نظام تحويلات له قوانينه من حيث إنه مجموع، وله قوانين تؤمن ضبطه الذاتي) . فالبنية هي علاقات العناصر الداخلية في إطارها، ودخولها في نظام هو الذي يحفظ لها استقرارها، ويضمن لها حركتها وتفاعلاتها داخل النظام ذاته، ويتيح لها أن تتوازن وتتعلق مع بني أخرى تحكمها أنظمة خاصة بها. وكلمة structure مشتقة من الاسم اللاتيني struere بمعنى يبني أو يشيد. وكل بناء مشيد بالضرورة بناء منتظم الوحدات .

إن المقولة الأساسية في المنظور البنيوي ليست هي مقولة الكينونة، بل مقولة **العلاقة**، والأطروحة المركزية للبنيوية هي توكيد أسبقية العلاقة على الكينونة وأولوية الكل على الأجزاء، فالعنصر لا معنى له ولا قوام إلا بعقدة العلاقات المكونة له . ولا سبيل لتعريف الوحدات إلا بعلاقاتها. فهي أشكال ، لا جواهر.

خصائص البنية



الكلية: وتعني أن البنية تتكون من عناصر داخلية، تقوم بينها علاقات، وتحكمها قوانين تميزها عن غيرها. فاللغة بنية كلية، أو نسق من العلاقات الدلالية والصرفية والنحوية، يحدد معاني الكلمات ووظائفها.

التحويلات: وتعني حركة البنية المستمرة، أو حركة عناصرها، ونفي مظاهر السكون عنها، وذلك لكي تلبي الرغبة بما يتفق وإنتاج عدد لا نهائي من البنى (الجملة) انسجماً مع الحاجات الاتصالية للتعبير. ولو لم تكن البنية قادرة على ذلك، لفقدت اللغة حيويتها وانكفأت على ذاتها ثم تحجرت،

الضبط الذاتي : تشير هذه الخاصية إلى قدرة البنية على التماسك الداخلي من جهة ثم العمل على ضبط هذا التماسك من جهة ثانية، الأمر الذي يؤدي بالبنية إلى نوع من الانغلاق الذي يُظهر استقلالية هذه البنية، دون أن تعني هذه الاستقلالية تجريد البنية من قدرتها على الدخول في علاقة مع بنية أخرى

ما النسق/النظام ؟

يتشكل النظام من العلاقات القائمة بين عناصر البنية، دون أن يعني ذلك تغير هذا النظام بتغير العناصر المتعلقة داخله. فالمعروف مثلاً، أنه إذا حدث تغيير ما في أي عنصر من عناصر البنية، فإن مثل هذا التغيير سوف يشمل عناصر البنية كلها. وفي هذا الإطار يشير (سوسير) إلى أن التبدلات التي يمكن أن تطرأ على البنية لا تؤثر على نظامها بل تؤثر على بعض عناصرها التي سرعان ما تندرج في إطار نظامها الخاص.

البنوية والأدب

إن طبيعة المادة المكونة للأدب في التحليل النقدي هي اللغة، فالأدب لا يتكون من أفكار ولا مشاعر ولا آراء وإنما هو جسد لغوي ممثل للنص الأدبي، ومن ثم فإن أي مقارنة لتحليل هذا الأدب بمنهج علمي كان من المفروض عليها أن تبدأ من منطلق اللغة- لا من منطلق ما وراء اللغة من فكر وميتافيزيقا وأشياء أخرى لا ترتبط بالمادة المباشرة للأعمال الأدبية فتأسست على هذا الاعتبار البنيوية في النقد الأدبي على اعتبارات أهمها:

- 1- التعطيل المؤقت والمقصود لمحور البحث التاريخي في الأدب لتفعيل المحور المقابل له وهو البحث في الأدبية .
- 2- إذا كان موضوع الأدب هو العالم فإن موضوع النقد هو الأدب .
- 3- مهمة الناقد ليس اختبار مدى صداقية الكاتب في علاقته بالمجتمع وإنما اختبار لغة الكتابة الأدبية ومدى تماسكها وتنظيمها. تحت شعار «موت المؤلف» .

فلاديمير بروب في موفولوجيا الحكاية الشعبية درس زهاء
100حكاية شعبية دراسة نحوية ولسانية، فركز على ما هو
أساسي (الإسناد الفعلي والشخوصي)، ليلاحظ أن الذي يتبدل
في الحكايات هو أسماء الشخصيات، لكن الثابت هو أفعالهم
ووظائفهم. فاستخرج الوظائف الثابتة والمستمرة للشخصيات،
فالوظائف هي الأجزاء المكونة الأساسية للخرافة. ثانيا،
الاستغناء عن الجوانب المتغيرة المساعدة، مثل: أسماء
الشخصيات ونعوتها وأوصافها الداخلية والخارجية. ومن هنا،
فالوظيفة هي: فعل شخصية قد حدد من وجهة نظر دلالة في
سيرورة الحكاية. تحت مسمى (البنية العاملة)، وتتحدد البنية
العاملية عند (غريماس) في ثلاثة محاور، وستة عوامل. وهذه
المحاور هي: محور التواصل، ومحور الرغبة، ومحور
الصراع. أما العوامل الستة، فهي: المرسل والمرسل إليه،
والذات والموضوع، والمساعد والمعاكس..



1- الابتعاد

11- الصراع مقابل الانتصار.

2- التحري مقابل الإخبار.

12- الاضطهاد مقابل العون.

3- الخداع مقابل الخضوع.

13- إدعاء المسيء مقابل التعرف على المسيء.

4- النقص مقابل تعويض النقص.

14- تقنع البطل مقابل التعرف على البطل.

5- الإساءة مقابل تعويض الإساءة.

6- التكليف مقابل تصميم البطل

15- الخضوع لمهمة صعبة مقابل النجاح في المهمة الصعبة.

7- الذهاب مقابل العودة.

16- القصاص مقابل الزواج

8- الخضوع للتجربة مقابل مجابهة التجربة.

9- الحصول على المساعدة مقابل نقص المساعدة.

10- الانتقال مقابل الوصول المقنع.

مستويات التحليل البنيوي

- 1- **المستوى الصوتي:** وتقتضي دراسة صفات الأصوات والمقاطع ووظائفها ودلالاتها المفردة في علاقتها مع بقية الأصوات ودراسة النبر والتنغيم والبنى الإيقاعية من وزن وعروض ...
- 2- **المستوى الصرفي:** دراسة أبنية الكلمات وبنيتها القواعدية ، وهيئة الكلمة وما يلحق بها من تغيير في الخطاب.
- 3- **المستوى التركيبي:** دراسة تأليف وتركيب الجمل وطرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية.
- 4- **المستوى الدلالي :** ينشغل بتحليل الدلالات المباشرة وغير المباشرة عبر تقصي الدلالة التي تحملها الكلمة في التركيب .
وهناك من يضيف لها المستوى المعجمي، والرمزي، والتناصي في علاقة النص بنصوص أخرى ...

نماذج بنيوية عربية

- أول دراسة عربية انتهجت المنهج البنيوي دراسة الباحث التونسي **حسين الواد (1948-2018)** في البنية القصصية لرسالة الغفران للمعري (1972). وهي أسبق دراسة أكاديمية اعتمدت هذا المنهج فيما قرأنا. فالريادة تونسية في هذا الباب.
- التونسي الثاني **عبد السلام المسدي** في كتابه «الأسلوبية والأسلوب» الصادر عام 1977 حيث جاء في مقدمة هذا الكتاب حديث المسدي عن ماهية البنيوية بوصفها ممارسة نصية تستهدف دلالات البنية من حيث هي شكل يقوم على مجموعة من الروابط والعلاقات الخفية. ودرس قصيدة (ولد الهدى) لشوقي دراسة بنيوية رائدة. ومما جاء فيه أن البنيوية ليست علما ولا فنا معرفيا وإنما هي فرضية منهجية قصارى ما تصدر عليه أن هوية الظواهر تتحد بعلاقة المكونات وشبكة الروابط أكثر مما تتحدد بماهيات الأشياء.

• كتاب « مشكلة البنية » الصادر عام 1978 لإبراهيم زكريا من بين الكتب التي أناطت اللثام عن مختلف العوالم المعرفية التي تشغلها البنيوية، حيث قسمه المؤلف إلى الموضوعات التالية: ماهية البنية، البنية في ميدان اللسانيات البنية في ميدان الأنثربولوجية، البنية في ميدان الإيستومولوجيا وتاريخ المعرفة، البنية في ميدان التحليل النفسي، البنية في ميدان الماركسية.

• يأتي كمال أبو ديب في طليعة النقاد العرب الذين حاولوا تطبيق المنهج النبوي وتطبيقه على طبيعة نصية مغايرة لطبائع النص الذي أنتجها في الغرب، وقد بدى ذلك واضحا في عقد السبعينات في كتاب و سمه أبو ديب بـ: « جدلية الخفاء والتجلي، دراسة بنيوية في الشعر » الصادر عام 1979.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهنّ فلول من قراع الكتاب

ولا عيب فيهم = نفي العيب (بنية صغرى)

غير أن سيوفهم = إعادة النظر في العيب (بنية صغرى
مرتبطة)

بهن فلول = تأكيد العيب بعد نفيه... (تأجيج التوتر)

من قراع الكتاب = العودة إلى توازن البنية الكلية للبيت
بهذه البنية الصغرى لتستقيم الدلالة الكلية (المدح في
صورة الذم)

(عبد الله الغدامي)

واسترجعتُ من بني ساسان ما وهبتُ

ولم تدع لبني يونان من أثر

استرجعتُ = لم تدع (تساوي الدلالة).

من بني = لبني (تساوٍ صوتي تركيبی)

ساسان = يونان (تساوٍ صرفي فكلاهما على وزن فعلان)...

ما وهبتُ = من أثر (على مستوى أقسام الكلم : فعل / اسم)...

استرجعت ما وهبت لبني ساسان = استرجعت ما وهبت لبني
يونان.

فكما أن السلطة تسوي بين المقهورين على اختلافهم، هناك
تساوٍ وتقارب بين أقسام الكلم أيضا ... السلطة / التماثل.

(محمد مفتاح)

- 1- حتى و لو رجعت يا أوديس
 - 2- حتى و لو ضاقت بك الأبعاد
 - 3- و احترق الدليل
 - 4- في وجهك الفاجع
 - 5- أو في رعبك الأنيس
 - 6- تظل تاريخا من الرحيل
 - 7- تظل في أرض بلا معاد
 - 8- تظل في أرض بلا ميعاد
 - 9- حتى و لو رجعت يا أوديس
- (كمال أبوديبي)

ما أخذ على البنيوية :

- لقد جعلت البنيوية من الإنسان رمزا لغويا وسطحا لا امتداد له، وقلصت الظاهرة الفكرية النظرية إلى مجرد هيكل خاو من المعنى، أي أنه شكلٌ يحذف المضمون كنتيجة .
- يقول صلاح فضل: يقتطع البنيوي جذادات من الشعر يتبدى فيها لون من الثنائية بين جانبين محددين, وبالرغم من أن محور الثنائية أساسي في المنهج البنيوي إلا أنه ليس صفة جاهزة تصلح لاكتشاف الخواص المميزة لكل نص شعري. كما أن في القفز من جزئية صغيرة تتصل بنسق موسيقي صوتي في الشعر- مثلا- إلى الحديث العام عن بنية الثقافة والحياة عامة تعميم يكاد يخرج بنا عن روح المنهج العلمي الذي تحاول البنائية الاقتراب منه .
- هو نقد يتصف بالغموض والضبابية إلى درجة يتعذر معها فهم تلك الجداول المرصعة بأشكال هندسية وعمليات إحصائية , فيها من التشويش ما يجعل ذاكرة القارئ تحيد وتعزف, بل تعرض عن قراءة هذا النقد.

مآل البنيوية

يقول الناقد السوري محمد عزام: إذا كانت (البنيوية) قد انطلقت في النصف الثاني من القرن العشرين فملأت الدنيا وشغلت الناس، فإنها بدأت بالتراجع منذ إضرابات الطلاب الراديكالية في فرنسا عام 1968، مما جعل البنيويين يعيدون النظر في مواقفهم ومنهجهم الذي خرجت من رحمه مناهج نقدية عديدة كالأسلوبية، والسيمائية، والتفكيكية، بالإضافة إلى الألسنية، التي هي عماد هذه المناهج النقدية جميعًا.

البنوية النفسية (جاك لا كان)



البنوية الماركسية (لوي
ألتوسير)



البنوية السيميولوجية
(رولان بارت)



البنوية الإستمولوجية
المعرفية (ميشال فوكو)



البنوية الأنثربولوجية (ليفي
ستروس)



البنوية/
اللسانيات

الماركسية الاجتماعية

الرومانسية الذاتية

أهم مراجع العرض

- روجيه غارودي، البنيوية، فلسفة موت الإنسان، تر: جورج طرابيشي . دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ، 1984
- حفناوي بعلي، استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر: دراسة نقدية مقارنة، دروب للنشر والتوزيع. 2017
- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية ، مكتبة مصر، 1975 .
- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات الآفاق الجديدة ، بيروت، ط3 ، 1977.
- محمد عزام : تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1985.